رحمة القدير

بقلم: ميلاني ستون

ترجمة: صبحي شفيق نصرالله

المحتويات

١. الله قدير
٢. الله رحيم
٣. الرحمة تنتصر على القضاء

الفصل الأول

الله قدير

لا أعلم إن كنتم تتذكرون ارتكاب أي خطأ في طفولتكم، لكنني أتذكر أنني قد حصلت على نصيبي من التأديب عندما كنت فتاة صغيرة. اسألوا والدي، وسيخبركم أنني كنتُ أعمل كل شيء بحسب أفكاري الخاصة! عندما كنتُ مجرد شيء صغير، أتذكر والدي الضخم، القوي وهو ينزل لأسفل لكي يتمكن من النظر مباشرة إلى عيني. لقد كان يمنحني كامل اهتمامه، ويحرص على أن يحظى باهتمامي. لم يكن والدي يُسيء معاملتي، لكنه علّمني أهمية الطاعة. إن أكثر ما أتذكره عن عقوباتي هو النظر في وجه والدي. في عدة مرات، عندما كنتُ أنظر في عينيه، كنتُ أرى الدموع تملأ عينيه. كنتُ أعلم أنّ والدي كان يؤدبني لأنه كان يحبني. وأنا أعتقد أنّ الله كذلك.

إن لنا إله كبير وقوي. إنه قدير وعظيم، وقادر على مساعدتنا وقت الحاجة. إنه قدير، وبديع، إنه رائع - وهو أبونا. وهو أيضاً قدوس. إنه كل ما هو نقي (طاهر) ومستقيم. ألا تسعدون بهذا؟ أنا سعيد لأن أبي السماوي هو قدوس وليس ظالم، أو مسيئ، أو أناني. لكن الشيء الذي يتعلق بالقداسة هو أنها إذا سمحت بوجود أي شيء غير طاهر حولها، فإنها لم تعد قداسة. ولأن الله قدوس، فهو لا يمكنه الاقتراب من أي شيء غير طاهر، وإلا سيشوه ذلك هويته. تخيلوا غرفة مليئة بالظلام. ماذا يحدث عند تشغيل مفتاح النور؟ النور يطرد الظلام. والأمر نفسه ينطبق على قداسة الله - إنها تطرد أي شيء غير طاهر. من المستحيل أن يبقى شيء غير طاهر في محضر الله، تماماً كما أنه من المستحيل أن يبقى الظلام في غرفة مليئة بالنور.

لقد كان موسى رجلاً لديه الرغبة في الاقتراب إلى الله. في خروج ٣٣، يسأل موسى هذا السؤال: "من فضلك، أرني مجدك." يا له من طلب جريء! إنه يطلب أن يرى الله فعلاً بعينيه! الله يحب موسى حباً عميقاً. ويريد أن يُحقق له رغبته، ولكنه أيضاً يعرف الحالة الهشة لطبيعة الإنسان الخاطئة. إن الله يعرف أنه بمجرد أن يتلامس الجسد الخاطئ مع مجد صورته، يكون الموت الجسدي هو النتيجة. ووافق على أن ينظر إليه موسى في مجده، لكنه لا يستطيع أن يدعه يرى وجهه وإلا فإنه سيموت على الفور. فيقول الله لموسى أنه سيخفيه في شق صخرة ويغطيه بيده. وبعد أن يمر الله بموسى، سيرفع الله يده ويسمح لموسى برؤية جانبه الخلفي. لقد تحققت رغبة موسى - ورأى الله!

إنه الله القدير، ولكنه أيضاً إله محب ورحيم. لقد تجرأ موسى، وهو يعلم أنّ الله يحبه، على أن يطلب المخاطرة بحياته لكي يرى الله في قداسته. عندما رأى موسى الله، قال الله لموسى: "[أنا] اتَرَافُ عَلَى مَنْ اتَرَافُ، وَارْحَمُ مَنْ ارْحَمُ" (الآية ١٩). الكلمة العبرية التي تُرجمت إلى "رأفة" هي [كلمة] راخام. تصف كلمة "راخام" الحب القوي والحنون (الرقيق) الذي يكنّه الوالدان لطفلهما. إذا كان لديك طفل [في أي وقت سبق]، سواء بالولادة أو بالتبني، فأنت تعرف حب الترابط الذي أشير إليه. عندما يكون ذلك المولود الجديد بين ذراعيك، هناك شيء ما في داخلنا يقول: "أنت لي!" إنك ستفعل كل ما يلزم لرعاية ذلك الطفل. إنه حب يصل إلى أعمق جزء من قلوبنا. يستخدم الله كلمة "راخام" للتعبير عن حبه القلبي الذي يكنه لنا كأبينا وخالقنا.

غالباً ما تُترجَم كلمة "راخام" إلى "رحمة" في الكتاب المقدس. وأنا في الكثير من الأحيان لا أتعمق في معانى الكلمات العبرية واليونانية، ولكن عندما أفعل ذلك، فهذا لأن الكلمة يكون لها معنى أكثر (أعمق) مما نفهمه في لغتنا. عندما نفكر في كلمة "رحمة"، عادةً ما نفكر في الشفقة أو التعاطف أو النعمة. لكن عندما نقرأ "راخام"، نجد أنّ الله يكشف عن محبة أبوية عجيبة يكنها لنا، تنبع من أعماق كيانه.

لقد كانت رغبة الله دائماً هي أن يكون قريباً من أبنائه، لكن خطيئتنا وضعت حاجزاً بيننا وبينه (إشعياء ٥٩: ٢). فكان الله في جانب، وكنا نحن في الجانب الآخر. وفي وقت ما، لم يكن هناك سبيل لعبور هذا الحاجز. الله هو حياتنا، ولذلك بسبب هذا الانفصال، متنا روحياً. لا يزال الله هو أبونا، ولا يزال يحبنا حتى لو انحرفنا إلى ما هو غير نقي، وابتعدنا عنه وعن كل ما هو حق. إنني كأم، قد أدركتُ شيئاً عن نفسي وهو أنه عندما تعاني إحدى بناتي من أي ألم، فأنا أشعر به أيضاً. وعندما يشعرن بالفرح، أشعر به أنا أيضاً. ما يمسهن يمسني. أشعر به في أعماق قلبي. الله هو أبونا. ونحن أبناؤه الذين يحبهم حباً عميقاً. كأي أبٍ مُحب، لم يكن الله ليتركنا. كان عليه أن يفعل شيئاً ليستعيد أبناءه إلى أحضانه.

نعم، الله قدير، لكنه يُسرّ أيضاً بالرحمة (ميخا ٧: ١٨). كأي أبٍ مُحب، فإن فرح الله هو وجودنا في محضره. الحمل [الذي] على غلاف هذا الكتاب يُمثلك أنت ويمثلني أنا. والأسد يوضح قوة الله وقدرته، وكذلك رحمته التي تسمح لنا بالاقتراب منه. لقد صنع الله، أبونا، طريقاً لعودة أبنائه إليه.

الفصل الثاني

الله رحيم

أعطانا يسوع قصة في لوقا ١٥: ١١-٣٢ ليساعدنا على فهم قلب أبينا. إنها قصة عن أب وابنيه. أراد الابن الأصغر أن يترك المنزل ويعيش أسلوب حياة لم يوافق عليه والده. كان الأب يعلم أنّ أسلوب الحياة الذي اختاره ابنه سيسبب له في النهاية الكثير من الألم، لكنه كان يعلم أيضاً أنّ حبه لن يُجبر أحداً من أبنائه على البقاء [معه] رغماً عنه. وبقدر ما كان الأب يكره رؤية ابنه يُدير ظهره لمنزله، سمح لابنه الأصغر أن يغادر.

ابتعد الشاب عن المكان الذي كان ينتمي إليه. وفعل أشياءً لم يكن والده يسمح بها أبداً في المنزل. وسرعان ما اختفى مال الرجل. وفي المكان الذي ذهب إليه، اكتشف أنه لا يستطيع أن يكسب قوت يومه بسبب مجاعة شديدة. ووصل إلى حالة متدنية جعلته يناضل بصعوبة من أجل تلبية احتياجاته الأساسية من خلال العمل في إطعام الخنازير. لم يكن لديه طعام؛ كانت الخنازير تأكل بشكل أفضل منه! لقد وصل إلى مرحلة أدرك فيها أنه يائس ولا يستطيع تلبية احتياجاته بمفرده.

تذكر الرجل الذي كان عليه [أي تذكر نفسه] في الماضي. كابن، كان دائماً ما يُلبى احتياجاته أبٌ محب. كان محاطاً بعائلة تحبه وتهتم به. كان هذا هو المكان الذي جاء منه (موطنه)؛ المكان الذي كان ينتمي إليه. وهذه كانت هويته. لقد أراد العودة إلى هناك. أراد أن يكون قريباً من والده مرة أخرى. أراد أن يعرف دفء وسلام ذلك المكان مرة أخرى. لكنه كان قد أدار ظهره لأبيه وبيته. فكيف يمكنه أن يعود؟

ولكن إلى أين سيذهب؟ لم يستطع البقاء على قيد الحياة في الأرض التي ذهب إليها. كان يعلم أنّ هناك مكاناً واحداً فقط ليلجأ إليه بقلبه - الوطن. كان الرجل يعلم أنه لا يستحق قبول والده، لكنه كان يأمل أن يتمكن على الأقل من النجاة من الموت الذي كان يواجهه في المكان الذي كان فيه. ربما فكر في مدى الألم الذي شعر به والده عندما تركه. وكان يعلم أنّ لأبيه كل الحق في أن يغضب ويريد معاقبته. فقرر الرجل أن ينزل إلى مقام الخادم، أن يصبح عبداً ليكتسب مكاناً في البيت.

وفي هذا الجزء التالي من القصة، سيصف يسوع محبة الله الأبوية لنا. لا بد أنّ الأب كان يترقب عودة ابنه باهتمام، لأنه عندما كان الابن لا يزال بعيداً عنه، رآه الآب وركض. ركض نحو ابنه، وأمسك به، وعانقه، وقبّله. قال الابن لأبيه: "لقد فاتني الأمر. لقد أخطأت. ظننت أنني أستطيع أن أعيش بعيداً عنك، لكنني كنت مخطئاً في تركك. دعني أبقى قريباً منك وسأخدمك إلى الأبد." صاح الأب فرحاً: "ابْنِي هَذَا كَانَ ضَالاًّ، لكنه الآن وُجِدَ!" ونادى الخدم ليحضروا أفضل رداء لكي يلبسوه لابنه، ويحضروا خاتماً ليضعوه في يده، ويحضروا حذاءً ليضعوه في قدميه. لقد كان هناك طعام، وكانت هناك موسيقى، وهناك رقص. قال الأب لابنه الأكبر: "لقد عاد أخوك إلى المنزل. فنحن نحتفل لأنه سالم وآمن." كل هذه الأفعال تُخبرنا أنّ الأب لم يتوقف أبداً عن حب ابنه. وعودته إلى البيت كانت هي كل ما كان الأب يريده.

هذه القصة هي عن محبة الله لنا بصفته أبينا. إنها عن رحمته، ورأفته العميقة بنا كأبنائه. إن الله يريدنا أن نكون قريبين منه. يريدنا أن نعرف أنّ لنا قيمة ومكانة عندما نكون في البيت. ويريدنا أن نشعر بالانتماء عندما نكون معه.

لم يكن أمام الله سوى طريق واحد لإعادة أبنائه إلى البيت. كان لا بد من إزالة مشكلة الخطيئة. لقد كنا بحاجة إلى إعادة الاتصال بمصدر حياتنا، حتى نتمكن من الهروب من الموت الروحي والجسدي. ولم يكن هناك طريق لدفع ثمن الموت إلا ببذل حياة شخص طاهر.

في رومية ٥: ١٢، نتعلم أنّ الخطيئة قد انتقلت إلى كل إنسان من خلال الإنسان الأول، آدم. وهنا تكمن مشكلتنا - لقد وُلدنا جميعاً بطبيعة خاطئة انتقلت إلينا من آدم. لم يكن هناك أي واحد منا نحن الأحياء يستطيع أن يدفع ثمن الخطيئة والموت، لأننا جميعاً أخطأنا وعجزنا عن تحقيق مجد الله (رومية ٣: ٢٣).

كان على الله، بصفته أبينا، أن يفعل شيئاً، مهما كلّف الأمر، لينقذ أبناءه من المعاناة والانفصال الأبدي [عنه]. لم يكن هناك سوى طريقة واحدة. كان عليه أن يأتي بابن آخر إلى الأرض طاهراً وبلا خطيئة. وكان على هذا الابن أن يتحمل عقاب الخطيئة ويدفع متطلبات الموت بالحياة الموجودة في دمه. دخل يسوع، ابن الله، الأرض كواحد منا، ونشأ بيننا، ومات موتنا من أجلنا. وبمجرد أن دُفِعَ ثمن الموت، تمت إزالة الخطيئة، واستطاع الله أن يعيدنا إلى الحياة التي لا توجد إلا فيه. وكان يسوع هو أول واحد من كثيرين مِمَن تمت استعادتهم إلى الله عندما أقامه الله من بين الأموات. وبفضل يسوع، أصبحت الحياة متاحة لأي شخص يعود إلى بيت الآب.

بهزيمة الموت، يأخذ أبونا السماوي طبيعتنا القديمة الخاطئة ويضع حياته في روحنا، فنولد من الله مرة أخرى (يوحنا ٣: ٣)! وتتجدد روحنا، كياننا الداخلي (٢ كورنثوس ٥: ١٧). والآن يمكننا أن نعود إلى إلهنا القدير الرحيم. وهو قريبٌ جداً منا، فيسكن روحه القدوس في قلوبنا. ويكون معنا دائماً! تخبرنا رسالة رومية ٨: ١٥ أنّ في أرواحنا صرخة إلى الله تقول: "يَا أَبَا الآبُ." وكلمة "أَبَا" كلمة عبرية تعني "بابا." سواءٌ كان والداكَ الأرضيان قد أظهرا محبة لك أم لا، فإن الله قد أتى راكضاً إليكَ بحبه الأبوي. وإذا كانت والدتكَ أو والدكَ الأرضي قد آذاكَ، فاغفر لهما، واقبل المحبة التي يكنها لك "أبو الرحمة" (٢ كورنثوس ١: ٣).

يعقوب ٤: ٨ يقول: "اِقْتَرِبُوا إِلَى اللَّهِ فَيَقْتَرِبَ إِلَيْكُمْ ..." يمكنك أن تكون قريباً من الله قدر ما تشاء. عندما نشتاق إلى أن نكون معه بنفس الطريقة التي يشتاق هو أن يكون معنا، سوف نبتعد عن أي شيء غير مقدس. ما الذي يجعل الشيء غير مقدس؟ الأمر بسيط - إنه أي شيء غير موجود في الله. أن تعرفه يعني أن تصبح مثله. نحن لسنا كاملين بعد، ولن نكون كاملين حتى نصل إلى السماء ويكون لنا عقل وجسد قد تم تغييرهما. وكما كان موسى مختبئاً في الصخرة، فنحن في أمان في محضر الله لأننا مختبئون في المسيح. وكلما كبرنا في القداسة، كلما عرفنا المزيد من حضوره في حياتنا.

رحمة الله

استخدم الله الكلمة العبرية "راخام" لوصف محبته لأبنائه. كلمة "رحمة" هي إحدى ترجمات هذه الكلمة. وترجمة أخرى لكلمة "راخام" هي "شفقة" أو "رأفة." عندما تُستخدَم كلمة شفقة أو رأفة في الكتاب المقدس، فإنها تصف المحبة التي تنبع من أعماق الشخص. ونحن نرى الله كأب شفوق (رؤوف) مراراً وتكراراً في الكتاب المقدس. إذا كنت أباً، ففكر في طفلك. هل هناك أي شيء لا تفعله لطفلك إذا كان في خطر أو في ورطة؟ فكر في مدى رغبتك في أن ينجح طفلك، وأن يتمتع بصحة جيدة، وأن يحصل على تعليم جيد.

هل نحب أبناءنا أكثر مما يحب الله أبناءه؟ كلا، نحن لسنا كاملين، ولكنه هو كامل. تظهر كلمة "راخام" في إشعياء ٤٩: ١٥ حيث تقول [الآية]: "هَلْ تَنْسَى الْمَرْأَةُ رَضِيعَهَا فَلاَ تَرْحَمَ ابْنَ بَطْنِهَا؟ حَتَّى هَؤُلاَءِ يَنْسِينَ وَأَنَا (الله) لاَ أَنْسَاكِ." كما نجد كلمة "راخام" أيضاً في هوشع ١٤: ٣، "... إِنَّهُ بِكَ (يا الله) يُرْحَمُ الْيَتِيمُ." كآباء أرضيين، نحن نرتكب الأخطاء مع أبنائنا؛ لكن علينا أن نتذكر أنّ الله هو أيضاً أبوهم، وهو سيظل دائماً موجوداً لرعايتهم ورعايتنا.

الرحمة من أجل الإعالة

المزمور ١٠٣ هو مزمور أعتز به لأن كلمة "راخام" مذكورة فيه مراراً وتكراراً. إنه ترنيمة كتبها داود عن محبة الله لأطفاله. في الآيات ١-٤، يسرد بعض النعم التي منحها الله لنا: الإعالة (الرزق)، والغفران، والشفاء، والحماية. تقول الآية الرابعة أنّ الله "يُكلِّلنا بِالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ." كلمة "رَّأْفَة" هي راخام، وهي تصف محبة الأب. كأي أبٍ، يرغب الله في أن يُظهِر لنا محبته من خلال رعايتنا وتلبية احتياجاتنا. وبما أنّ محبة الله لنا هي محبة أبوية قوية، أفلا يهتم بنا إذاً كما تفعل أية أم أو يفعل أي أب أرضيين صالحين؟

في لوقا ١١: ٩-١٣، يخبرنا يسوع أنه يجب علينا أن نطلب من الله أن يلبي احتياجاتنا. وهو يُشبِّهُ أبانا السماوي بالآباء الأرضيين. يقول يسوع: "فَمَنْ مِنْكُمْ وَهُوَ أَبٌ يَسْأَلُهُ ابْنُهُ خُبْزاً أَفَيُعْطِيهِ حَجَراً؟" بالطبع، سنُعطي أطفالنا طعاماً ليأكلوه إذا كانوا جائعين. نحن نفهم قسوة حرمان طفل جائع من القوت الذي يتوق إليه كإنسان. إذا كان هناك أي شخص منا يرفض إعطاء الطعام لطفله، فإن حكومتنا كانت ستجد هذا الشخص مُهملاً وتسجنه. وكان سيتم إخراج الأطفال من ذلك المنزل ووضعهم في منزل يتم فيه تلبية احتياجاتهم. حسناً، هل الله مُهملٌ في أبنائه؟ إنه يعرف احتياجاتنا. لقد خلقنا لنحتاج إلى الطعام والراحة والغطاء والمأوى؛ وقد وفّر لنا هذه الأشياء. إذا كنا، كآباء أرضيين، نشعر بالشفقة على أطفالنا [لدرجة] تلبية احتياجاتهم، فكم بالحري يهتم الله بأطفاله (انظر متى ١٥: ٣٢-٣٨)؟

الرحمة من أجل المغفرة

تُذكَر راخام مرة أخرى في المزمور ١٠٣ في الآية ٨ حيث تقول: "الرَّبُّ رَحِيمٌ وَرَأُوفٌ طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ." والآية ١٢ تقول: "كَبُعْدِ الْمَشْرِقِ مِنَ الْمَغْرِبِ أَبْعَدَ عَنَّا مَعَاصِيَنَا." إن محبة الله تَظهَر عندما تتم مغفرة الخطايا.

إذا جاء إليك طفلك يشعر بالخجل من ارتكاب شيء خاطئ، فماذا ستفعل؟ الوالد الصالح سيرى التوبة الحقيقية ويرغب على الفور في استعادة ذلك الطفل. عندما نحب أطفالنا، لا يسعدنا أن نراهم يشعرون بالخجل أو الذنب أو الخوف؛ بل نريدهم أن يستمتعوا بالتواجد معنا.

يقول المزمور ١٠٣: ١٣، "كَمَا يَتَرَأَّفُ (راخام) الأَبُ عَلَى الْبَنِينَ يَتَرَأَّفُ (راخام) الرَّبُّ عَلَى خَائِفِيهِ." إن الله لا يحبنا نحن فقط، بل كان أيضاً يحب ابنه يسوع محبة عظيمة. الله يحب ابنه بنفس الطريقة التي تحبون بها أطفالكم. ومع ذلك، بسبب محبته لنا، قدّم ابنه ذبيحة ليدفع ثمن خطايانا لكي يمكننا أن ننال الغفران. يُقال أنّ فقدان طفل هو أسوأ ألم يمكن أن يشعر به الشخص. إنه أمرٌ صعب، ومع ذلك بذل الله ابنه ليموت من أجلنا. إنها محبةٌ عجيبةٌ لا تُوصف. يقول يوحنا ٣: ١٦، "لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ."

ولكن ماذا لو كنا قد حصلنا بالفعل على الخلاص، واخترنا عصيان الله؟ هل لا يزال هناك غفرانٌ للمسيحي؟ كُتِبَت رسالة يوحنا الأولى ١: ٩ إلى الكنيسة، وهي تقول، "إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ." إذا لم نستطع أن ننال محبة الله ومغفرته، فإننا نحاول أن نعتمد على صلاحنا. ولا أحد يستطيع أن يفعل ذلك. يقول المزمور ١٣٠: ٣، ٤ في النسخة المُضخمة، "إن كنت يا ربّ تحسب خطايانا وتعاملنا على أساسها، يا ربّ، فمن يستطيع أن يقف؟ لكنّ عندك المغفرة..." إننا لا نستطيع أن نقف بمفردنا، لكنّنا نستطيع أن نقف منتصبين عندما نُسلّم حياتنا لمحبة الله! "الربّ صالح، ورحمته تدوم إلى الأبد!" هللويا!

الرحمة من أجل الشفاء

توجد أيضاً في مزمور الرحمة، مزمور ١٠٣، آية تقول إنّ الله "يَشْفِي كُلَّ أَمْرَاضِكِ" (الآية ٣). "كُلَّ" إنها تقول؛ يشفي كُلَّ (أو جميع) أمراضنا. لماذا؟ لأنّ الله أبانا هو رحيم، ورؤوف، ومحبّ لأبنائه.

إذا جاء إليك طفلك يبكي لأنّه كسر عظمة من عظامه، فماذا ستفعل؟ أيّ والد صالح سيفعل على الفور كل ما يستطيع فعله لتخفيف ألم معاناة طفله. ما رأيك في الوالد الذي يرفض المساعدة في وقف معاناة طفله المتألّم؟ أنا أُسمّي ذلك تعسفاً (أو إساءة معاملة الطفل). إذا كنا نحن، كآباء وأمهات أرضيين، لا نستطع أن نقف مكتوفي الأيدي ونشاهد طفلنا يتألم، فلماذا نظن أن أبانا السماوي سيفعل أقل من ذلك؟ لقد بذل كل ما في وسعه من أجلنا، بتقديم أكبر تضحية يمكن أن يقدمها أي والد - لقد بذل ابنه يسوع ليأخذ عقاب الخطيئة. إن المرض هو نتيجة الخطيئة. وعندما مات يسوع ليمحو الخطيئة، فهو أيضاً قد دفع ثمن محو (إزالة) آثارها، التي منها المرض.

في إشعياء ٥٣، يصف [الكتاب] الذبيحة التي قدمها (صار إياها) يسوع من أجلنا. يقول أنّ يسوع تحمل ضرب الجلدات على ظهره، لكي يمكننا أن نُشفَى. أخذ حزننا لكي يمكننا أن نعرف الفرح. أخذ عارنا لكي يمكننا أن نعرف السلام. أخذ خوفنا لكي يمكننا أن نعرف المحبة. أخذ مرضنا لكي يمكننا أن نعرف الشفاء! لقد دفع دم يسوع ثمن شفائنا. لماذا تحمل يسوع هذا الضرب؟ يقول الكتاب المقدس أنّ يسوع كان بإمكانه في أي وقت أن يستدعي الملائكة لإنقاذه من تحمل عقابنا. لقد أخذ يسوع الجلدات على ظهره لأنه كان يعرف قلب أبينا السماوي. كان يعرف أنّ الله يريدنا أن نتحرر من ألم ومعاناة المرض والسقم (الوجع). إذا كان يسوع قد تألم من أجلنا، فيجب علينا أن نؤمن بالله من أجل شفائنا.

قال يسوع إنه لم يقول ولم يفعل إلا ما أراده الله أن يقوله ويفعله. وقال أيضاً، "إن كنتم قد رأيتموني فقد رأيتم الآب" لأن الله قد تجلّى في حياة المسيح. إننا لا نرى محبة الله عند الصليب فقط، بل نرى رأفته أيضاً في الطريقة التي خدم بها المسيح على الأرض (انظر متى ٢٧: ٢٧-٢٩، متى ٢٠: ٢٩-٣٤، لوقا ١٧: ١١-١٩، لوقا ٧: ١١-١٧، مرقس ١: ٤٠-٤٥).

في إنجيل متى، اصحاح ١٤، كان يسوع قد علِمَ لتوه أنّ الملك قتل يوحنا، ابن عمه والمُبَشِر به. ذهب تلاميذه ليأخذوا جثمان يوحنا ويدفنوه. حزن يسوع على موت يوحنا، فانعزل عن الجميع ليكون بمفرده. لكن الناس سمعوا عن مكان وجود يسوع، فتركوا مدنهم وتبعوه. في الآية ١٤، يُذكَر أنّ يسوع خرج ورأى جموع الناس. وفي خضمّ محنته الخاصة، يقول الكتاب المقدس أنّ يسوع تحنن عليهم. لقد تدفقت في المسيح محبة من أعماق قلبه للناس. فماذا فعل؟ يقول الكتاب المقدس أنّ يسوع شفى مرضاهم. لماذا؟ لقد شفاهم لأن المحبة في قلبه دفعته للقيام بذلك.

الرحمة من أجل الخلاص

في مزمور ١٠٣: ٤، تقول [الآية] أنّ الله "يَفْدِي مِنَ الْحُفْرَةِ (أي من الْهَلَاكِ) حَيَاتَكِ." نرى في مرات عديدة في حياة المسيح كيف جلبت رحمته الخلاص (التحرير) لمن كانوا مقيدين بواسطة الشيطان (انظر مرقس ٥، متى ١٥: ٢١-٢٨، متى ١٧: ١٤-١٨). أولئك الذين كانوا مقيدين صرخوا طالبين الرحمة، والمحبة لتحريرهم. في هذه الأمثلة، تحرر الناس من امتلاك الشياطين لهم، ولكن هناك العديد من الطرق [أو القيود] الأخرى التي يحتاج الناس إلى التحرر منها.

هناك أناسٌ مُقيدون بواسطة الإدمان، أو المخدرات أو الخطيئة التي تُسيطر عليهم. إنهم يريدون التحرر، لكن هناك جاذبيةً قويةً لا يستطيعون التخلص منها بمفردهم. يتضح هذا في سفر الخروج عندما كان شعب إسرائيل يُغادر عبودية مصر. مراراً وتكراراً، وباءً تلو الآخر، كان فرعون سيُطلق سراح بني إسرائيل، لكنه كان يجذبهم إلى مصر مرة أخرى. وهذا يرمز إلى سيطرة الخطيئة والإدمان على حياة الناس.

وأخيراً، بسبب عيد الفصح وعبور البحر الأحمر، ترك فرعون شعب الله يذهب. عيد الفصح يُمثل العمل الذي قام به يسوع على الصليب. دمه يكسر قيود عبودية الخطيئة. لا يمكننا أن نتحرر من العبودية بمفردنا، لكننا نتحرر من خلال المسيح! وعبور البحر الأحمر يُمثِّل عمل الروح القدس في حياتنا. يقول الكتاب المقدس أنّ

النير والقيود تُكسَر من خلال المسحة، أو عمل روح الله في حياتنا. عندما نصل إلى نهاية ما نستطيع أن نفعله، فإن نعمة الله تتجاوز حدودنا وتأتي بنا إلى النصر! والحرية! إنّ الله يريد أن يفدي حياتنا من الهلاك. هللويا!

الفصل الثالث

الرحمة تنتصر على القضاء

في لوقا ١٠، نجد مثلاً رواه يسوع عن الرحمة من أجل الغفران. تدور القصة حول رجل كان مسافراً من مدينة إلى أخرى. وفي رحلته، تعرّض للسرقة من قِبل مجموعة من الرجال الذين ضربوه وسلبوا ممتلكاته. وتركوه هناك ليموت، جريحاً ينزف. هذا الرجل الجريح يُمثِّل شخصاً قد أخطأ وعرف العواقب المؤلمة والعار المُخزي للخطيئة. مرّ عليه قائد كنيسة. عندما رأى الرجل المتألم، عبر إلى الجانب الآخر من الطريق، محافظاً على مسافة بينه وبين الرجل الجريح، ولم يتوقف لمساعدته. بعد فترة، مرّ عليه قائد كنيسة آخر، ومرة أخرى يحافظ [هذا القائد] على مسافة بينه وبين الرجل الجريح، ولا يتوقف لمساعدته. يُمثل هذان القائدان المؤمنين، وحتى قادة الكنائس، الذين يهتمون بأنفسهم وسمعتهم وتقدمهم أكثر مما يهتمون بالناس الذين يتألمون ويموتون من حولهم. مرّ قائدا الكنيسة على الرجل الجريح في أوقات مختلفة. لو توقفا لمساعدة الرجل، لما انتبه أحد [إلى عملهم]. ولسوء الحظ، هناك مَن يختارون مساعدة مَن جُرِحَ بسبب الخطيئة فقط عندما يُعزز ذلك [العمل] مكانتهم الخاصة. مرّ رجل ثالث في مَثَل يسوع. هذا الرجل أجنبي، شخص كان قادة الكنيسة يحتقروه. رأى الرجل الجريح على جانب الطريق. ويقول الكتاب المقدس أنّه "تحنن عليه" (الآية ٣٣). لقد كانت هناك محبة في قلب الأجنبي للشخص المتألم. فاقترب من الرجل الذي كان ينزف، ونظّف جراحه وضمّدها. وحمله الأجنبي إلى مكان آمن حيث يمكنه أن يُشفى ويُستعاد. يُمثل الأجنبي الشخص الذي يمد يده (يتواصل) ويلمس أولئك الذين يعانون من العواقب المدمرة للخطيئة.

تقول رسالة يعقوب ٢: ١٣، "... الرَّحْمَةُ تَفْتَخِرُ (أو تنتصر) عَلَى الْحُكْمِ." يبحث الناس عن المحبة والقبول. فإن صلاح المحبة هو الذي يجذب الناس إلى الله وإليك (رومية ٢: ٤). المسيحيون الذين ينتقدون الآخرين سيدفعون الناس، دون أن يدروا، بعيداً عنهم وبعيداً عن الله. عندما يعرف الأفراد أنّ في أنفسهم رغبات وأفكار غير نقية، فإنهم بدلاً من أن يهربوا إلى الله، يهربون منه. إنهم لا يشعرون أنّ لهم مكاناً في الكنيسة. لا يعتقدون أنّ الناس هناك [في الكنيسة] سيقدرونهم.

لهذا السبب، من الضروري جداً أن يخرج المسيحيون خارج الكنيسة ليبحثوا عن أولئك الذين يتألمون ويموتون. المحبة سوف تلزمنا بالبحث عن الضالين وإنقاذهم كما كان يسوع يفعل. والرحمة ستجعلنا نساعد في استعادة المرتد إلى نعمة الله. إن معرفة محبة الله ستبني الإيمان [اللازم] من أجل الإعالة والمغفرة والشفاء والخلاص. إن المحبة تعطي نتائج!

إذا كنت تَرغب في قبول يسوع المسيح رباً ومخلصاً لك، صلِّ هذه الصلاة من قلبك:

يا الله أبانا، أشكرك لأنك تحبني محبة عظيمة. أشكرك لأنك أسلمت ابنك للموت حتى أستطيع أنا أن أعرف حياتك. إنني أختار أن أرجع عن طريقي لأسير معك عن قرب. أعرف أنك أقمتَ يسوع من بين الأموات، وأنا أختار أن أجعله ربي. أشكرك لأنني الآن وُلِدتُ من جديد، وأنا ابنك! وسأكون معك في السماء إلى الأبد. آمين.